حـــوار مع دنـــى غـــالـــي..

تجـــربـــة الحـب تجعلك تـــشعـــر بـــانـك انـــســـان حـــر

د. جمـانـة القـروي

دنى غالي قاصة وروائية.. واحدة من مبدعي العراق ، الذين غادروه مكرهين ، لكنهم ما زالوا يشمون رائحته في كل المدن والشوارع ، وما زال أريج الوطن يفوم منهم.. ولدت دنى في مدينة البصرة وعاشت فيها سنوات طفولتها وصباها ، وشبابها حيث تعلمت في مدارسها وقضت في اروقة جامعتها اربع سنوات لتحصل بعدها على شهادة البكلوريوس في كلية الزراعة..

لنتصفح اوراق الماضي ونعود بك إلى الطفولة، والشباب، وسنوات الدراسة وتأثير كل ذلك على ابداعك، ثم ما هي البصمات التي قادتك لتصبحي قاصة وروائية..؟؟

كانت نظرتها عميقة، وبعيدة كانها تحاول من خلالها الرحيل إلى تلك الايام، لكنها سرعان ما تمردت فقالت وابتسامة تعلو شفتيها" سأبدا من مرحلة الكتابة وهي بالتالي ستقودنا بشكل او بآخر إلى كل ذلك، لا أحب تسلسل الاحداث حسب التواريخ والسنين، وصلت إلى الدانمارك وانا في مرحلة النضج، وبعد فترة قصيرة من استقراري في كوبنهاكن برزت لدي الحاجة للكتابة، دون تخطيط مسبق لها، رغم أن نداء ملحا في اعماقي كان يحثني على ذلك منذ سنوات عديدة ولم استجب له.. كنت قارئة نهمة وكانت لي محاولات كتابية عندما كنت في أولى سنوات التفتح، ولكن لم يكن هناك مجال حتى للاعلان عنها بسبب ظروف عائلتي، حيث كنا نسعى من اجل التواري والاختفاء عن العيون المتربصة بنا وبالذات بوالدي، كان لزاما علينا ألا نثير أي ضجة من حولنا. كان امامي خياران احدهما ان اكتب ما يرضي السلطة، والاخر أن اكتب باشياء وقضايا عادية، وفي كلا الحالتين لم يكن ذلك مرضيا بالنسبة لي.. ولكن وما ان استقر بي الحال في الدانمارك حتى جاءت الكتابة كرد فعل تلقائي بعد احساسي نوعا ما بالاستقرار، وايضا لتفادي هذا التحول المفاجئ الذي حدث في حياتي حيث الخوف من القادم الجديد.. سيما ان رحلتنا تلك لم تخل من الغرابة وما رافقها من القرارات الصعبة في حياتنا والتي اتخذت خلال اسابيع قليلة او ربما ايام، لم نكن قد خططنا لها. كانت ذاكرتي مشحونة ومملوءة بالكثير من الامور التي تدعوني إلى الكتابة مما جعل الأمر يأتي سهلا وطبيعيا. الآن وبعد سنوات، عندما اقيم كتاباتي الأولى أرى بأنها حملت شحنة من الانفعالات والعواطف، لست الآن ميالة إليها.. وربما للعمر أيضا دخل في هذا.."

ولدت دنى غالي وسط عائلة فنية، سمتها الاساسية الحب، الوالد موسيقي وشاعر، والوالدة معلمة وفنانة ورياضية تغدق من ينبوع حبها على اولادها دون حساب.. فنشأت دنى في جو طبيعي، وعاشت سنوات طفولتها بكل مرحها وشقاوتها. لم يكن الحب الذي استقته من الوالدين فقط، انما المحيط كله كان مليئا بالحنان والحب والرعاية، حب كبير غير مشروط. لقد عاشت في بيئات مختلفة فجدها لوالدها كان رجلا ملتزما بالطقوس الدينية، ويقيم شعائر عاشوراء. اما الوالد فهو موسيقي وملحن والبيت كان ملتقى للادباء والشعراء والفنانين، هذا التناقض الجميل والمزيج الغريب، والعيش في بيئات مختلفة ادى بالتالي الى هذا الانسجام والهرمونية، ومدها بغنى كبير في شخصيتها، شأن أخوتها واخواتها أيضا الذين يمتلكون مواهب فنية أخرى. كانوا يحضرون تدريبات الوالدين، يسمعون الحوارات والألحان على المسرح وينامون على الكراسي خلف الكواليس ويسافرون معهم لاحياء الحفلات الفنية واقامة العروض المسرحية، كل هذا انعكس في كتاباتها. لقد تمتعت بمساحة كاملة من الحرية داخل البيت وضمن المحيط، وأيضا على صعيد المجتمع وإن كانت محدودة نوعا ما، رغم ان المجتمع في ذلك الوقت كان متفتحاً ومنطلقاً مقارنة بما طرأ عليه لاحقا. تنقلت دنى بين العديد من المدارس بحكم عمل والديها. وحتى لاح في الأفق عقد الثمانينيات في مرحلة الدراسة الاعدادية، وما رافقه من احداث كبيرة، الحرب العراقية الايرانية، ثم التهجير الذي طال الكثير من العوائل الآمنة، وقبلها اختفاء والدها، ومن ثم خروجه بعد ذلك إلى المنافي. بالاضافة إلى الضغوط التي مورست على العائلة من قبل الامن والمخابرات. عن تلك السنوات، قالت دنى" بعد اختفاء الوالد حاولت الوالدة جاهدة ان تكون الاب والام في الوقت ذاته، فتحملت عبء المسؤولية وحدها في حمايتنا وسد احتياجاتنا، إلى جانب استمرارها بالعمل وما سبب لها ذلك من ضغوط كبيرة، تلك كانت مهمة تفوق طاقة امرأة في مقتبل عمرها، ولحين إلتحاقها بالوالد في المنفى، لم يكن كل ذلك بالشيء الهين. تلك السنوات كانت بالنسبة لنا حاسمة كعائلة ازدادت لحمتها ببعضها ازاء ما تعرضت له. عند التحاق الوالدة واخوتي بالوالد كنت حينذاك قد بدأت دراستي في جامعة البصرة واتخذت قرار البقاء في البصرة دون العائلة. هذه المرحلة هي من المراحل الحاسمة في حياتي وغريب كم كان تاثيرها كبيرا في تكويني، ولولاها ربما لم اكن كاتبة اليوم..".

لقد عوضت دنى عن كل حرمانات الغربة وقساوتها وعن كل الصدمات والمحن التي واجهتها بالكتابة والابداع والانتاج الادبي. لقد حققت ذاتها وما كانت تواقة إلى ان تحققه في بلدها، وما يحز في نفسها أن ابواب وطنها مغلقة دونها، لكن البلد الغريب هو من اعطاها الفرصة.. تقول دنى" ما اطمح اليه لإنضاج تجربتي ما زال كبيرا، ولو اني عشت في بلدي لاعطاني من دون شك الكثير الذي ابحث عنه، فدعمه لي وايصاله بي إلى ما ابغي سيكون له طعم اخر، ولكن كيف وبلدنا كل محنة تسلمه إلى محنة اخرى. وعموما الحال في كلا الجانبين غير مرضٍ بالنسبة لنا، لا جانب الخارج ولا جانب الداخل.. فكل ممارساتنا الإيجابية نتمنى لو كانت على ارض الوطن، وللاسف المجتمع العربي عموما والعراقي تحديدا يسير في خطوات متعثرة، والتطور الذي حدث (على اختلافنا بشأنه) لم يأت بشكله الطبيعي، لا اريد الخوض في الاسباب فهي معروفة للقاصي والداني!! ولهذا نجد ان ما كتب الان ليس فيه ذلك العمق الحقيقي او الخيال، هناك الكثير من التسطيح والتقليد في تناولنا الكثير من المسائل التي تطرح، ليس سياسيا بل اجتماعيا، السلطة والرقابة الإجتماعية تفرض ايضا التقييد والتكميم.. لا كتابة مثيرة وفاعلة من دون حرية.."

غادرت دنى العراق في العام ١٩٩١ وفي عام ١٩٩٣- ١٩٩٤ بدأت أولى خطواتها في مشوار الكتابة. الكتابة بالنسبة لها اداة لا يمكن ان تتخلى عنها ابدا والتي تستند إليها لكي تستمر. العائلة تدعمها في ذلك وان كانت الناقد الأول لها لكنها تترك لقناعتها الشخصية بعدها ان تكون الحاسمة.. تقول دنى: ربما كنت اشعر بخيبة كبيرة من نفسي عندما اتخذت قرار مغادرة العراق، لازمني بالبدء احساس بالتخلي، بالهروب وقد افرغت كل هذه الشحنات في القصص التي كتبتها وصدرت في المجموعة القصصية عام ١٩٩٨ باسم"حرب نامه". قالت دنى: الحرب هي الحرب العراقية - الايرانية اما نامه فهي تسمية فارسية تعني التقويم او المفكرة او اليوميات كإشارة إلى الحرب العراقية الايرانية، الحقيقة لقد وجد البعض فيها رواية لان فيها تسلسلاً وروابط بين الاحداث، ولو عدت لكتابة هذه القصص الآن لما كتبتها بهذه الطاقة والحماسة..". بعد صمت قصير وفي صوتها نبرة مزاح" قالت: ولكن لولا حرب نامه لما صدرت لي روايات اخرى..!!! اما النتاج الثاني فقد كان"النقطة الابعد.." وهي رواية.. كنت فيها اكثر تروياً، وكنت قد استعدت بعضا من الاستقرار النفسي. ربما لا تختلف الاحداث والشخوص التي تناولتها كثيرا عما كتبته في المجموعة القصصية، فهي تدور في المحور ذاته. ولكن على الرغم من اني احيا حياة عادية طبيعية سلمية فهذا لا يعني اننا تخلصنا من آثار ما عشناه، اشعر بأن الحرب ما زالت في داخلي تأبى ان تفارقني، يعيش الظرف المتشنج في اعماقي، ولا تزال الشخوص القلقة المتشنجة المتشظية هي ما يجذبني في الكتابة ويثيرني.."... قبل ان نتوغل اكثر في روايتها الاخرى، استوقفتها لاسألها عما اذا كان سهلا عليك الغور في مجاهل كتابة الرواية..ضحكت قبل ان تقول" ليس سهلا، ولكن فيها نوع من الإنعتاق والإبتعاد عن الأرضي، ان تخلقي لك حياة وشخوصا بل وتقعي في حب احدهم، عندي ميل اكبر لكتابة الرواية وعلى الخوض والعوم فيها حتى النهاية، فيها الفضاء الواسع الرحب للتعبير والإلمام بالمشاهد على سعتها، التحدي هنا اكبر عندما استطيع الامساك بكل الخيوط وبتحريكها كما اشاء. كما احس بأني خلالها أكثر هدوءا، أقل قلقا، هذا بحد ذاته شئ كبير بالنسبة لي، لم يكن الامر هينا، في"النقطة الأبعد" هناك عشرات الاحداث والشخوص والتفاصيل البسيطة منها والمعقدة، واشعر باني سعيدة جدا لاني دخلت في هذا العالم والأهم ان قدرتي على نقد ما اكتب تكبر، بالإمكان الآن تحليل تعقيب بسيط قد يصلني من قارئ وأفيد منه ويكون له دوره في مضاعفة الرغبة بالتجريب..".

تواصل دنى حديثها عن نتاجها الادبي الثالث، الذي لم يتسن للكثيرين قراءته بسبب صدوره في الدنمارك، فتقول" اما الكتاب الثالث" اكتشافات متأخرة انتصارات صغيرة" فهو عبارة عن مجموعة نصوص، لم يختلف عن سابقيه، ماعدا ان الصورة ازدادت كثافة والحوار اصبح داخليا اكثر لشخوص الرواية وكذلك ازداد عمقا.." لقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الدنماركية، وتعتبر الكاتبة ذلك نقلة نوعية وخطوة حاسمة وثابتة اطلت من خلالها على الساحة الثقافية الدنماركية، فقد وجدت ان الاشياء مشتركة بين البشر، هموم الإنسان، الرجل والمرأة في مختلف انحاء العالم هي ذاتها، لقد علقت احدى الناقدات الدنماركيات على هذا الكتاب بقوله" ان ما كتبته دنى غالي، عن هموم المراة في بلادها كان ودون ان تدري تعبيرا عن هموم المراة الدنماركية ايضا او عموما في جميع انحاء العالم".

كما اقتحمت دنى غالي مجال ترجمة الادب الدنماركي للعربية عندما عرض عليها مشروع ترجمة قصص وحكايات خرافية كتبها الكاتب الدنماركي المعروف" هانس كريستيان اندرسن" الذي يعتبر احد رموزهم الوطنية وأثمر عن ذلك صدور كتاب بـ ٦٠٠ صفحة هذا العام يحوي قصص وحكايات اندرسن الخرافية عن دار المدى مصحوبا بتحليلات أدبية لأحدى اهم حكاياته. عن هذه التجربة تقول الكاتبة دنى غالي" بالنسبة لي كانت فرصة جيدة جدا توازي طموحي لخوض مضمار الترجمة الادبية، سيما ان الكاتب له وزنه وثقله، ليس على صعيد الدانمارك فحسب وانما في كافة الدول الاسكندنافية وباقي انحاء العالم. لقد عاش" اندرسن" قبل مئتي سنة واللغة المستعملة في قصصه لغة قديمة، وله روحية الكاتب الناقدة والساخرة، الحادة اللاذعة بشكلها غير المباشر مما يزيد من صعوبة الترجمة لنقل اسلوبه هذا إلى القارئ العربي، لقد اضطررنا إلى مراجعة كل كلمة وجملة انا والمستشرق الدانماركي الذي يتقن العربية، حيث تم تعييني لمدة سنتين للتفرغ والعمل في هذا المشروع. لم يكن الامر هينا وبسيطا والتالي فالكثير من الأمور قد لا تنقل كما هي عن طريق الترجمة، ولكن مما لاشك فيه انها محاولة جادة بذلت فيها اقصى مالديَ، مدى قدرة المترجم على تلمس طريق الكاتب والاحساس بروحيته هي مهمة أيضا وذلك يكون متاحا أيضا بالإطلاع على ادب اللغة المترجم منها، والترجمة تبقى كما يقال في احيان كثيرة خيانة"..!!"

وها نحن وصلنا لـ"عندما تستيقظ الرائحة" روايتها التي صدرت مؤخرا فقالت دنى.." الحقيقة اني كتبت هذه الرواية قبل ما يزيد عن الثلاثة اعوام، ورغم ان عنوانها وغلافها رومانسيان، إلا انهما لا يمتان لذلك بصلة، لما في الشخصيات الثلاث من قساوة وتشوه، تجمعها صلات معينة وصفات خاصة أهمها التشتت...!! قد اتناول المرأة المتفتحة في داخلها، والتي هي اكثر تكيفا للظروف واكثر تحديا وعنادا، ولكنها أيضا تنغلق وتنقطع فلا تناقش المسائل بصوت عال، بينما الرجل" في الرواية" مثل الجانب الضعيف، غير القادر على المواصلة داخل إطار المناخات الجديدة التي يتعرض لها، او التحديات التي يواجهها لذا جاءت ردود أفعاله عنيفة وغير سوية بالطبع..!!

هنا قلت لدنى: هل ستكون الترجمة هي التي تحقق طموحك ربما ؟؟ ام الرواية التي ستستمرين التوغل في مجاهلها؟؟ ام انك ستعودين ادراجك إلى القصة القصيرة وترمين بثقلك عليها؟؟ اجابت" هذه النقطة بالذات افكر بها دائما.. الموازنة صعبة بالنسبة لي جدا، بين الكتابة وهاجسها والمخزون في اعماقي الذي يحتاج لسنين طويلة ليترجم على الورق وبين الواقع الذي نعيشه والذي يتطور بشكل سريع جدا ومن دون ان نشعر بسيطرتنا عليه.. والسؤال الذي اناقشه دائما مع نفسي.. هل ما نكتبه يفيد الاخرين بقدر ما يفيد الكاتب؟؟ ثم ما جدوى ما نكتب؟؟ وهل ستبرز طريقة اخرى نستطيع من خلالها ايصال ما نفكر به للقارئ الذي بدأ هو الاخر ينسحب.. هناك تحديات كثيرة تواجهنا.. عدا الظروف والهموم اليومية التي تستنزف الكاتب، للكتابة مناخ خاص يصعب على الكثيرين منا توفيره، الكتابة تحتاج درجة من الرخاء والارتخاء والخلوة حتى يرى الكاتب بوضوح ما يكتب ويفكر به مع نفسه ولكي يلملم افكاره ولا يتكرر. أما ماذا ساختار من بين ما طرحتيه فحبذا لو تكون جميعها في يدي. عندي مشاريع ترجمات ادبية جديدة لا اريد الافصاح عنها الان قبل الإتفاق بشأنها، ولي طموح بكتابات أدبية تتناول تاريخ العراق، في رواية أو جنس آخر، باعتقادي ان هذا الجانب لم يعط الإهتمام اللازم ولم يتم العمل فيه وفق شرط العمل المنفتح والحر المستقل من قبل الذين كتبوا فيه.. اعرف انه طموح كبير بعض الشيء، ولكني ساكون جادة في تحقيقه يوما ما".

لدنى غالي اوجه عديدة لا يعرفها الكثيرون، فالى جانب كونها قاصة وروائية فلها كتابات شعرية ونثرية أيضا.. وسيصدر لها قريبا ديوان بالعربية وبالدنماركية، كما ان لها محاولات جميلة ومتنوعة في الرسم. دنى لا تعبر عن نفسها بالقلم فحسب، انما بالريشة ايضا فهي ترسم اللوحات، وجدران بيتها مزدانة بالعديد منها، عن هذا الجانب غير المنظور.. تقول" احببت اللون منذ الصغر والعبث بالالوان ومزجها كانت متعتي القصوى.. واللون يحل محل الحرف كمحاولة أسرع في اختراق الازمات عندي، حينما لا استطيع الكتابة، يمكن ان تفرغ الشحنة الداخلية من العنف او الفرح او الحزن بالرسم.. كلها محاولات ليس إلا للتعبير عن مكنونات النفس، رغم الأمان والراحة من حولنا فهناك فوضى في الداخل، لا اظنني وحدي فجيلي بأكمله يمكن تسميته بجيل الفوضى، جيل مبعثر ومشتت وقد يصعب احتواؤه.."

لقد شارف قارئنا الذي ابحرنا به مع دنى على الوصول للميناء الاخير فسألتها هل تعتقدين بانك قد حققت ذاتك من خلال ما كتبتيه؟.. بدت مترددة قبل ان تجيب" انا اعتقد اني حققت جزءاً بسيطاً، نعم لقد امدتني الكتابة بالاستقرار، بشيء من التوازن النفسي والسعادة الحقة، وايضا الدافع كي اواصل لاحقق ما ابغيه، إلا انه يبقى غير كاف او كامل، هناك دائما ما ننتقصه، وانا لست متفائلة دائما..".

متى نلتفت إلى مثقفينا ومبدعينا.. الموجودين في جهات الارض الاربع، والذين يشكلون الجزء الاكبر من الثقافة العراقية، لكي يفتح الوطن العزيز ذراعيه لهم ويضمهم إليه...!!!

دنـــى غـــالـــي

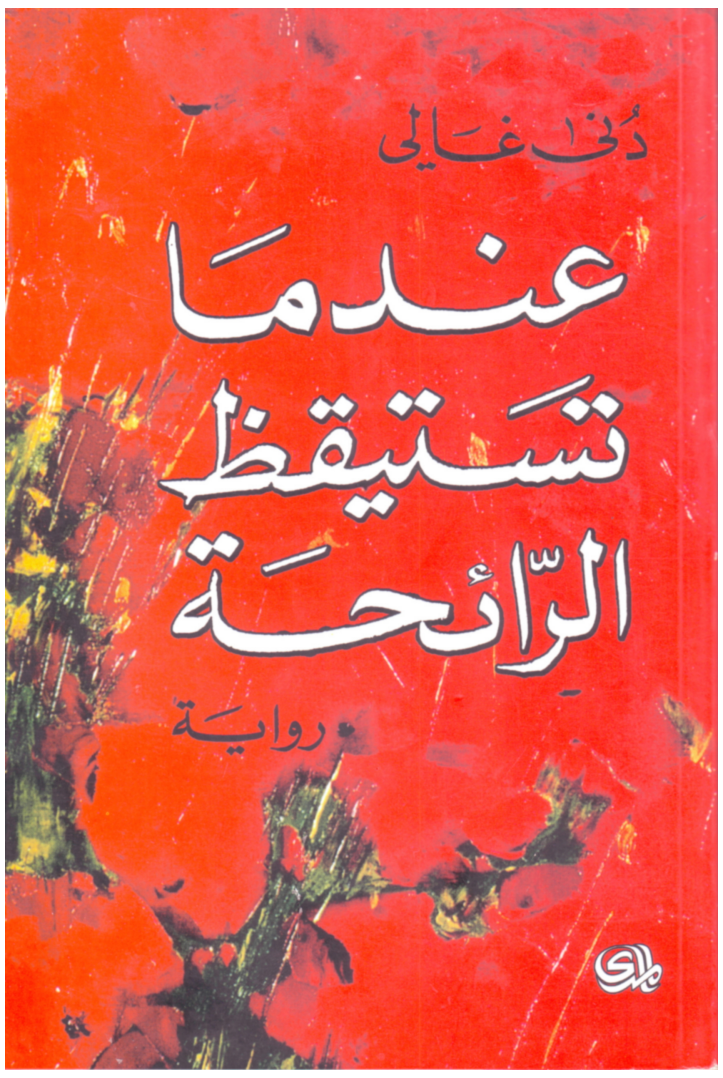

مـــن اغـــلـــفـــة كـــتـــب دنـــى غـــالـــي

رســالــة القــاهــرة

ابـــن خـلـــدون في مـئـــويـتـه الـــســادســة

اسـمـــاء عفـيـفـي

اقام المجلس الاعلى للثقافة احتفالية بمناسبة المئوية السادسة لابن خلدون قدمت من خلالها مجموعة من الابحاث حول (ابن خلدون ووحدة المعرفة) وقد شهدت الجلسة الاولى برئاسة محمد الجوهرى اوراق بحث قدمت لكل من طيب تيزيني وماريا خسيوس وبن سالم حميش وحسن حنفي، وعقدت بعدها الندوة الثانية برئاسة رضوان السيد وقدمت فيها اوراق بحث كل من محمد شاهين وعبد المقصود باشا وانور مغيث وفصيح بدرخان، اما الندوة الثالثة فكانت برئاسة ايمن فؤاد سيد وقدمت فيها اوراق بحث لكل من زبيدة عطا وفاروق احمد مصطفى وتوفيق على وهبة ومحمد بركات البيلي، اما الندوة الخامسة فكانت برئاسة احمد زايد وقدمت فيها اوراق بحث لكل من رضوان السيد وسهير عبد السلام وصالح مصباح وقاسم عبده قاسم وفي قاعة المجلس اقيمت ندوة برئاسة محمد دكروب وقدمت فيها ابحاث لكل من اماني فؤاد وخالد العزب واحمد عامر ومعين حداد .

تابعت المدى فعاليات الاحتفالية والتقت مجموعة من الباحثين حيث اعلن الباحث محمد شاهين ان اهتمام المجلس الاعلى للثقافة بالاحتفال بالمئوية السادسة لابن خلدون ليس فقط احياء لذكراه ولكن للكشف عن عوالم هذا الرجل، اما عن ورقة بحثي فقد قدمتها تحت عنوان ابن خلدون في الفكر العربي وارى من خلالها انه تكاد لاتكون هناك دراسة جادة منصفة عن ابن خلدون تخلو من اشارة الى المؤرخ الكبير توينبي بعلم ابن خلدون اذ قال ان مقدمة ابن خلدون تعد دون ادنى شك اعظم عمل من نوعه ابدعه عقل بشرى في أي مكان وأي زمان وقد كان توينبي مؤرخا وقام بتقديم ابن خلدون كمؤلف وبسبب معرفته التاريخيه العميقه فقد نظر الى ابن خلدون باحترام كبير، اما ادوارد سعيد فوصل الى ابن خلدون عن طريق نقد الفكر الاستشراقي الجاهز الذي يستخف بالموروث العربي كله بما في ذلك ابن خلدون، والامر الثاني الذي اقوم بطرحه هو تصوره الدنيوي للعالم ذلك ان ابن خلدون شرح تحولات المجتمعات اعتمادا على مقولتي العمران والعصبية وهما مقولتان لا تحتاجان الى ضمان ديني.

وبديهة فان اهتمام ادوارد سعيد بابن خلدون جاء من فكرته الاساس الدنيوي التي تعني ان البشر قادرون على تفسير التاريخ الذي يصنعونه وماجعله يوحد بين فيكو وابن خلدون وما جاء به ماركس في كتابه ١٨ برومير.

اما الباحث طيب تيزيني فاكد في بحثه عن نظرية الحضارات والتاريخ اشكالية تتجلى في ضبط الانتاج الخلدوني تاريخيا وحضاريا في ضوء الواقعة التاريخية التالية وهي ان القرن الرابع عشر مثل عصر الافول العربي ومحق الانجاز الحضاري العربي في ان والاضافة بان الحصيلة الخلدونية لم تفصح عن ثمارها في ايام مبدعها نفسه ولا في عصره ثانيا وليس في الحقل العربي الذي ينتمي اليه ثالثا الا لماحا اما ما أنجزه ابن خلدون فيتمثل من وجهة نظري في عدة نقاط قدمتها في ورقة بحثي وتأتي في مقدمتها اولا انطلاق ابن خلدون من مبدأ فلسفي عمومي يفصح عن نفسه في ان الشيء سبب ذاته أي هنا في ان المجتمع موضوع البحث لايمكن فهمه اذا نظر الى الياته وبنيته من خارجه وهذا يفسح الطريق امام امكانية التاسيس لعلم المجتمع عند بن خلدون وثانيا انطلاقه من انه من الغلط الخفي في التاريخ الذهول عن تبدل الاحوال في الامم والاجيال بتبدل العصور ومرور الايام مما يفضي الى القول ان المجتمع بكل مؤسساته وتجلياته السياسية والاقتصادية والثقافية ومن ثم ان الاعتقاد بما فوق التاريخ امر زائف ابستمولوجيا.

وفي سياق ذلك كله اتى أبن خلدون على مسائل منهجية ونظرية اخرى متعددة وراهنة في حينه ومازالت كذلك مثل السلطة السياسية والانتاج المعرفي التأسيسي وما ينتج عن العلاقة الفاعلة بينهما في شخص العالم السياسي ويبقى الارث الخلدوني حقلا مفتوحا للبحث العلمي العربي والعالمي خصوصا تحت وقع الاحداث والتحولات العالمية وما يأتي معها من انكسارات عربية لعل المنهج الخلدوني يضيء بعضا منها.